الواجهة الأمامية والخلفية ودور السجل النصي في عمليات الفهم

آيات وحيد معيوف

ا.د. ايسر محمد فاضل

جامعة الانبار كلية الآداب

art.aldbow@uoanbar.edu.iq

ملخص :

ينطلق القارء في قراءة النص من مرجعيات تمثل المخزون الثقافي والعلمي واللغوي وهذا المخزون هو من يوجه ويقود القارئ لفهم النص ومن خلاله يدخل القارئ الى النص ولا بُدَّ من للقارئ من عوامل مشتركة تساعده على الفهم والوصول الى المعاني المختبئة في داخله ، وهنا يفكك شفرات النص من خلال الأدوات التي يمتلكها والتي تساعده ليتواصل الى ما يريد ان يُفصح عنه القارئ ، فالقارئ بالمباشرة مع النص تثير لديه تساؤلات يبحث عن إجاباتن لها في النص ، والواقع هو الذي يمثل الواجهة الخلفية التي يشترك المبدع والقارئ في الرجوع اليها ، فالقارئ يمثل لديه الواقع الذي يساعده في التخفيف من الصدمة التي يحدثه النص أثناء القراءة في حين انَّ المبدع يمثل لديه الواقع الانطلاقة التي يستثمرها ليمرر الأفكار مختزلةً بالكلمات والمعاني وهذا ما يُحدث متعة الجمال في القراءة فالقارئ يعيش لحظة الصدمة من خلال الواجهة الامامية والتي تعني النص بصورته المقروءة والواقع / المرجع الذي يُقدم بعض العلامات التي تساعد على تفسير النص والكشف عمّا هو مخبأ ، فمن خلال الواجهتين الامامية والخلفية يتحقق الفهم والذي يكون فيه السجل النصي المرجعي للواقع حاضرا وبقوة في تحقيق الجمال من تأويل للمعنى .

دور السجل النصي في عمليات الفهم

إن تفكيك شفرة المعنى وامتلاك الأدوات المعرفية التي عدّها آيزر نموذجا تواصليا لا متوازيا بين النص والقارئ يعتمد الاغتراب والتساؤل مما يجعل القارئ يصطدم بمثيرات أسلوبية غريبة الوقع دلاليا وتركيبيا أجمل في أدبيتها و أحلى في شعريتها [١] أي أن النص كلما كان أكثر مفاجئة كان وقعه على المتلقي أعمق وإثارته أقوى عكس النصوص التي نجدها جاهزة وكل خباياها مكشوفة ويقرأها الإنسان العادي والخبير وهنا ستثبط وتمحي قدرات القارئ وتجعله قارئا سلبيا فتكسر وتذهب الدهشة وتقضي على متعته عند القراءة[٢] والقارئ الحاذق يشترط أن يظل في بحث متواصل عن المعنى ذهابا وإيابا جوالا في النص مثيرا التساؤلات التي يجد اجوبتها داخل النص ، فلا يمسك بالمعنى إلا بعد قراءات عديدة حيث (يقوم بقراءة القصيدة بيتا بيتا مستخدما في قراءته منظوره الذي يساعده على توقع الدلالات, فيدرك الشكل المكتمل للقصيدة إدراكا لا يخلو من نقص , ناهيك عن أن المعنى الكلي الذي يخدم فرضياته التأويلية لا يكتمل في حدود القراءة الأولى)[٣] "فالقارئ يوظف خبراته التي اكتسبها جراء احتكاكه بالأعمال الأدبية السابقة ,فيدرك بذلك الشكل العام للقصيدة ويبدي انطباعه الأول فيه , لكن مع ذلك فالمعنى سيبقى بحاجة إلى إضافات أي ان المعنى الذي تم التوصل إليه من خلال القراءة الأولى يكمله المعنى الذي تم التوصل إليه عند القراءة الثانية ثم الثالثة وهكذا وهذا هو دور القارئ والمتلقي الحقيقي"[٤] وهناك اعتقاد لدى إيزر مفاده أن النص لا يظهر المعنى وفق نمط محدد وإنما (يتأسس وفق مستويات تظهر الى الوجود بفعل الإدراك الجمالي)[٥] فهناك مستويين لبناء المعنى :الأول هو المستوى الأمامي ,والثاني هو المستوى الخلفي حيث تنتقل العناصر المنتقاة التي تسهم في بناء المعنى من المستوى الأول لتحتل مواقعها الجديدة مساهمة بذلك في تشكيل السياق العام للنص[٦] فانتقال العناصر المنتقاة من المستوى الثاني إلى الأول يعد حسب نظرة إيزر شرطا مهما لعملية التلقي والإدراك وعليه فإن العلاقة بين المستويين تأخذ منحى آخر يتميز بالصراع هذا الأخير يبدأ بالتضاؤل شيئا فشيئا إلى ان يصل إلى المحطة الأخيرة المتمثلة في انتاج الموضوع الجمالي [٧] ,وبمجرد انتقاء عنصر معين ,أدبي أو غير أدبي ضمن السجل النصي يثار السياق المرجعي او الواجهة الخلفية التي جاء منها هذا العنصر ,ولكن انتقاله إلى السياق الجديد أو الواجهة الأمامية يفقده دلالاته ووظائفه التي كان يؤديها داخل سياقه الأصلي وبالتالي يمنحه دلالات ووظائف جديدة داخل السياق الجديد.فبهذه الكيفية تخلق عملية انتقاء عناصر السجل النصي علاقة معينة بين الواجهة الأمامية والواجهة الخلفية وتتحكم فيها ودون هذه العلاقة لن يكون للعنصر المنتقى أي معنى[٨] أي انه لن يكون بإمكاننا أن نفهم دلالته الجديدة الا على ضوء هذه الخلفية التي انفصل عنها والتي يستمر في اثارتها والإشارة اليها.وزيادة على ذلك فإن النص لا يحدد الواجهة الخلفية المثارة بشكل نهائي بل إن امتدادها أو اتساعها وشكلها الخاص يتعلقان دائما بالكفاءة المعرفية لدى القارئ وبالتالي فإنها تبقى افتراضية دائما [٩] ,وما دامت الواجهة الأمامية هي التي تثير الواجهة الخلفية لدى القارئ ,وأنه على ضوء هذه الأخيرة سوف تتحدد القيمة الدلالية والوظيفية الجديدة التي اكتسبتها العناصر المنتقاة في السياق الجديد اذن فالعلاقة بينهما ستصبح علاقة جدلية [١٠] وبتقدم القراءة وتطور هذه العلاقة فإن الواجهتين معا يمكنهما أن تتحولا وتتغيرا بحسب الأفكار والمعاني داخل النص لكي نصل إبناء الموضوع الجمالي .وهكذا يتضح لنا أن انفصال الواجهة الأمامية عن الواجهة الخلفية وتبادلهما الإضاءة " يشكل الشرط الأساس لعملية التلقي والإدراك [١١] فيتضح أن العلاقة بين الواجهة الأمامية والواجهة الخلفية تعد بنية أساسية يقوم السجل النصي والاستراتيجيات النصية من خلالها بإثارة توتر يطلق سلسلة من العمليات والتفاعلات المختلفة ,وهو يتم حله في النهاية بظهور الشيء الجمالي[١٢]

وهكذا فإن الواجهة الأمامية هي كل الأشياء الظاهرة و الملفوظة في النص و مباشرة يصل إليها القارئ دون جهد وتكلف , أما الواجهة الخلفية فهي متعلقة بالأنساق المضمرة والأشياء الخفية في النص وهي تحتاج لكشف وتفكيك وتعمق في بنية النص لنصل إلى دلالته

وإذا أتينا نتأمل ديوان شاعرنا بدر شاكر السياب (أنشودة المطر) نجد ان فيه الكثير من النصوص التي يمكننا أن نطبق عليها هذه المصطلحات ,فهو ديوان احتوى العديد من القصائد التي عبر فيها عن آلامه التي عاشها والتي كان يعاني منها والظروف السياسية والاجتماعية في تلك الحقبة حيث ألفه رغم قساوة تلك الفترة عليه.ويقف الباحث عند قصيدة (غريب على الخليج) لنقرأ عنوانها متسائلين ما الذي دعا الشاعر لاختيار هكذا عنوان ففيه مسحة تشاؤمية سوداوية إذ أن القارئ له يدرك ما تحمله معنى كلمة الغربة من وجع وألم ومرارة في النفس والغربة هنا غربتان :غربة الروح والجسد فالشاعر من خلال شعره أراد يتكلم بحرية عما في دواخله فإذا تكلم عن غربته بدأ بإراحة نفسه وهذا ما وصفه علماء النفس أنه ليس من واسطة للتحليل النفسي سوى كلام المريض[١٣] ويتبادر عند القراءة الأولى لنص القصيدة فالغربة الحقيقية التي عاشها السياب تمرست وعاشت مع الحزن والألم في حياته ، فجاء العنوان نتيجة طبيعية ،لأن القصيدة هي أغنية الحزن المجروح ,اما في العصر الحديث نجد أن "العنونة فلسفة تسهم كثيرا في بناء المعنى حيث أصبح العنوان بؤرة مركزية دائمة الاشعاع في شعرية النص وجماليته وهو لا يقل أهمية عن المضمون" [١٤] فعنوان القصيدة هنا لم ينفصل عن جنباتها ونصوصها وجاء معبرا عن مجرياتها فبسبب الظروف التي عانى منها شاعرنا من حرمان الأم والحبيبة والوطن ومعها حياة الفقر والغربة والضياع والمرض والتعب هذه كلها عوامل أدت لاختياره هكذا عنوان كونه يشعر بالغربة والضياع وعدم الأمان, واختار الشاعر له إيقاع بحر الكامل (متفاعل)لينسجم مع جو القصيدة النفسي ويستوعب الكلمات الكثيرة لأن وزنه طويل يستطيع من خلاله أن يعبر عن آلامه ومشاعره الحزينة سيما أنه في موقف غربة وحنين إلى الماضي فالعنوان هنا أظهر لنا علاقة السياب بالمجتمع وشعوره بالغربة والضياع لبعده عن وطنه ...واستهل شاعرنا قصيدته بلفظة عنيفة وهي(الريح)فمن معاني الريح في القرآن الكريم العذاب والهلاك كقوله تعالى ((وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية))[١٥] ومن معانيها في اللسان الريح الغالبة القوية [١٦] يقول السياب:

الريح تلهث بالهجيرة ,كالجثام على الأصيل

وعلى القلوع تظل تطوى أو تنشر للرحيل

زحم الخليج بهن مكتدحون جوابو بحار[١٧]

ثم يتلوها الفعل المضارع (تلهث)وهو من دلالات التعب والخوف والفزع ومعها لفظة (الهجيرة)التي ناسبت العنوان من الناحية النفسية فهي فترة اشتداد الحر من الظهيرة وتجعل الانسان لاهثا تعبا حتى في حالة الجلوس ثم كلمة (الجثام)التي تعني هنا الكابوس او المرض الجلدي اذ يريد الشاعر من خلالها وصف معاناة الانتظار التي تقوم بنية القصيدة عليها فهذه الالفاظ تجعل القارئ يستشعر ان يخفي ذلك التعب والغربة التي يشعر بها بدر شاكر السياب وهذه الألفاظ الظاهرة شكلت لنا واجهة أمامية ظهرت لنا من خلال القراءة الأولى للقصيدة أما الواجهة الخلفية فتتشكل لنا من خلال التعمق داخل النص فمثلا لفظة غريب هي واجهة امامية يقابلها واجهة خلفية تعني الضياع والحزن والفقد والحنين وعدم الأمان وهذه الواجهة تكونت لنا عن طريق مرجعياتنا نحن كقرآء وخبرات جاءت من خبرات الحياة وتجارب الواقع ، فالمرجع للقارئ والشاعر هو الواقع .ويلتمس قارئ السياب في مقطع آخر أنه ينظر إلى مناظر حقيقية محيطة به ويذكرها في النص لكن هي نظرة خارجية أي واجهة امامية إذ يقول :

جلس الغريب يسرح البصر المحير في الخليج

ويهد أعمدة الضياء بما يصعد من نشيج [١٨]

فالشاعر هنا ينظر إلى الخارج (واجهة أمامية)الخليج والقلوع والسفن والمكتدحين فالنظرة الخارجية للخليج الذي هو يفصل بينه وبين وطنه تضطره إلى الالتفات نحو دواخله وما فيها من حزن دفين آلام واوجاع وغربة عن الوطن وحنين إليه فصدره يضج شوقا وألما لذلك فاستخدم البكاء وسيلة للتنفيس لان الذكريات تقيده ذهنيا وتهيج احزانه وهو جالس على الخليج (واجهة خلفية) ذكريات الحياة الأولى التي عاشها السياب ،فهو حين نسمع محاورة الغري \ السياب بقوله (جلس الغريب يسرح البصر المحير في الخليج)افصح عن الغربة النفسية التي يشعر بها فهو شارد متألم متوجع لبعده عن وطنه لا يملك سوى الشرود البصري والذهني في هذا الخليج الفاصل بينه وبين وطنه فهو في حيرة ظاهرة تملأ نفسه وتجبره على النشيج [١٩] وهذا كله يجعل القارىء يتفاعل مع النص من أعماق ذاته ليكتشف الحزن الكبير داخل النص

والأسباب التي دعت إليه وهذا لا يمكن أن يتصوره القارئ بلا واجهة خلفية ينطلق منها ولا سيما إذا ما وقف على واقع حياته وتجربته مع الحبيب، الحبيبة، العراق\الزوجة لذا يصور ذلك بصورة العاشق اذي ينتظر الأمل فيقول:

أحببت فيك عراق روحي أو حببتك أنت فيه

يا أنتما مصباح روحي أنتما وأتى المساء

والليل أطبق فلتشعا في دجاه فلا أتيه

لو جئت في البلد الغريب إلي ما كمل اللقاء

الملتقى بك والعراق على يدي ...هو اللقاء (٢٠)

نلاحظ أن الشاعر هنا استخدم الفاظا تحمل دلالات عميقة تعبر عن مدى شوقه وتعكس لنا مدى السوداوية التي يشعر بها مع سيل عارم من الشوق والتمني للرجوع إلى السعادة الماضية وأمل بالعودة وهنا نراه يخاطب امرأة غير معلوم من هي ؟ فقد تكون الأم وقد تكون الحبيبة وقد تكون اقبال نفسها ،لأنه حرم منهن وقد تكون رمزا للوطن وهنا يؤكد العلاقة الجدلية بين الوطن والمرأة فكلاهما مصباح و ضياء لروح الشاعر المرهقة فسعادته لا تكتمل الا بلقاء الوطن والمرأة فوطن بلا مرأة يعني وطنا خاليا من الدفء والحب فمزج بينهما في كيان واحد ولم يفصل بينهما فهو هنا يهرب من النظر للخارج الواقع(الواجهة الأمامية)لينظر الى الداخل باستحضار الماضي السعيد وما فيه من ذكريات جميلة هي تعتبر (واجهة خلفية) للنص وكل هذا يتحكم به الشاعر حسب حالته التي يشعر بها(٢١) :ثم بعدها يستدعي شاعرنا صورا جميلة ويوظف مظاهر أسلوبية لإيصال شوقه وحنينه للمتلقي فيذكر شمس العراق وجمالها يقول :

الشمس أجمل في بلادي من سواها ,والظلام

حتى الظلام هناك أجمل فهو يحتضن العراق (٢٢)

حيث نجده يفضل الظلام في وطنه عندما وظف استعارة مكنية وجعل الظلام كائنا يحتضن العراق فهنا وظف لفظة(الظلام)التي وردت مرتين بمعنى مجازي يحاول الشاعر من خلاله استذكار واستحضار الماضي السعيد وتظهر هنا الواجهة الامامية والواجهة الخلفية معا فالظلام في الحقيقة سواد حالك ,والظلام الذي كان يعيشه الشاعر حقيقة في العراق ويعيشه الآن في داخله مقترنا بالعراق هو نور وبهاء يزيل الظلمة عن دواخل السياب.ثم يستمر في بيان انكساره ويرجع شاعرنا للتمني بسؤال حقيقي وليس استنكاري مما يدل على زيادة صعوبة الأمر والموقف على نفسه مسبوقا بلفظة (وا حسرتاه) التي هي ممتلئة بالوجع والألم يقول :

وا حسرتاه

متى أنام ...

فأحس أن على الوسادة

من ليلك الصيفي طلا فيه عطرك يا عراق؟(٢٣)

كلمات أزفرت وعبرت عن كم هائل من الأوجاع وأمنيات متواضعة بسيطة يتحسر عليها لأنها في نفسه كبيرة وهي النوم تحت ليالي العراق الصيفية فلاحظنا هنا أنه مرتبط ارتباطا وثيقا بوطنه(الواقع\الواجهة الخلفية) حيث تكلم عن وطنه ومدى شوقه للعودة اليه فهو في الأبيات ربط بين الواقع والمتخيل الشعري أي الواجهة الأمامية والواجهة الخلفية فهو لم يقل لنا صراحة انه يريد الرجوع وانما ذكر التحسر والتمني للرجوع فهو صحيح يتكلم عن غربة وضياع وتحسر لكن لم يذكر نصا أنه يريد الرجوع وهو ما يبر عنه بالمسكوت عنه من خلال الابيات اكتشفنا مدى الحالة الصعبة التي يعيشها فهنا كأنه ذكر سيرته والمرحلة التي عانى فيها اشد أنواع الغربة.ولا يمكن للباحث وهو في صدد دراسة العمق الفلسفي لديوان مثل أنشودة المطر أن لا يتطرق ويقف إلى صورة المسيح (عليه السلام) حيث قرن نفسه به وربط بين ذاته الموجودة في بحور الغربة الفكرية والأخلاقية وبين المسيح المغترب عن وطنه السماوي او عن وطن الفضيلة والأخلاق والسبب في انه شبه وقرن نفسه بالمسيح الشعور بالمسؤولية تجاه البشر والوطن (٢٤) وفي هذه المقارنة تجتمع دلالات عدة ومن أهمها ذلك الموقف الغريب الفريد اذي عاشه سيدنا المسيح (عليه السلام) في صدد مواجهة قوى الظلام والشر وهي ما استثمرها السياب ليعطي القالب خلفية مشتركة تساعده في النزول التدريجي لقراءة النص ، هذه الخلفية هي الأرض المشتركة التي تساعد المبدع والقارئ على عقد تفاهمات وهي في نهاية المطاف تساهم في تنظيم وتنسيق السجل النصي الذي يمنحه السياب في اختيار ألفاظ دون أخرى " إن النص لا يحدد الواجهة الخلفية المثارة بكيفية نهائية بل إن امتدادها أو اتساعها وشكلها الخاص يتعلقان دائما بالكفاءة المعرفية لدى القارئ وبالتالي فهي تبقى افتراضية دائما وما دامت

الواجهة الأمامية هي التي تقير الواجهة الخلفية لدى القارئ وانه على ضوء هذا الأخير سوف تتحدد القيمة الدلالية والوظيفية الجديدة التي تكتسبها العناصر المنتقاة في السياق الجديد فإن العلاقة بين الواجهتين الأمامية والخلفية لا يمكنها أن تكون ستاتيكية بل ستصبح جدلية[٢٥]باعتبار ان المسيح رمز للإنسان المعاصر المصلح الذي يريد أن يخلص البشرية لكنه يعجز عن ذلك [٢٦] وهو ما يجسده نص السياب الذي يقول فيه :يقول:

بين القرى المتهيبات خطاي والمدن الغريبة

غنيت تربتك الحبيبة

وحملتها فأنا المسيح يجر في المنفى صليبه

فسمعت وقع خطى الجياع تسير ,تدمى من عثار[٢٧]

نلاحظ كلمة (يجر)فالمسيح يجر همومه في اصلاح الناس في كل مكان والسياب يجر وراءه ما يحمله من الذل والعذاب متمسكا بذلك رغم المآسي التي حدثت له فهو لا يمل لأنه يسعى الى هدف سام ,وهو تخليص وطنه من أيدي الأعادي فالمقطع عبر عن واقع مر كان يعيشه الشاعر ومازال (واجهة خلفية) وواقع يسعى أن يتغير ويطمح للعودة اليه الواقع المتخيل (الواجهة الأمامية)،إنها اليوتيوبيا التي يبحث عنها السياب ويستمر في التعبير عن المأساة بأبيات أكثر حزنا وتوضيحا لغربته وحالته المأساوية يقول:

واحسرتاه.... فلن أعود إلى العراق

وهل يعود

من كان تعوزه النقود؟ وكيف تدخر النقود

وأنت تأكل إذ تجوع ؟ وأنت تنفق ما يجود

به الكرام على الطعام

لتبكين على العراق فما لديك سوى الدموع

وسوى انتظارك دون جدوى للرياح وللقلوع[٢٨]

فالمقطع هنا يعج بالحزن الدفين الذي يوجد في نفس الشاعر فليس بيده حيلة الا ان يصبر ويبكي وينتظر العودة فهو في الابيات كأنه استيقظ واستسلم لواقعه المرير والحقيقة التي يجب ان يتقبلها فتحول من النظر الى الداخل الواجهة الامامية الى النظرة الخارجية القاسية وهي تمثل الواجهة الخلفية ليشعر ان الواقع هو انه خارج وطنه جالس على بحر فتحولت الصورة من أمل إلى يأس بعدما حاول في القصيدة تكوين أمل بالعودة ...ليشكل في هذه التنقلات إسهامات في بناء السجل النصي منطلقا من "علاقة النص بالواقع ،إذ يضم من السجل و النص أعرافا وتقاليد معرفة ، هذه العناصر لا ترتبط بنصوص داخلية لكن أيضا بمعايير اجتماعية وتأريخية في سياق اجتماعي وثقافي أكثر سعة ومن هذا المنطلق تبين لنا أن قصيدة (غريب على الخليج)كشفت لنا مقدرة شعرية خارقة للسياب وعبقرية قد لا نجد لها مثيلا في الشعر العربي الحديث وقد امتزج فيها الواقع بالحلم او بالكابوس ففيها رموز الغربة والضياع والفقدان والرجوع والعودة والغوص في الذات والتوحد فيها .خاصة انها كتبت في مرحلة صعبة من حياته وهي فترة هروب وفرار سياسي حيث كانت هذه الظروف القاسية ولادة لهذه القصيدة.[٢٩] والغربة قد جمعت السياب بوطنه في لقاء حميمي جميل لم يلتفت إليه قبل ذلك فهو فر من العراق هاربا إليه فكان لقاءه بروحه ووطنه هناك في الكويت حيث تعرف السياب على وطنه أكثر وهو خارجه ،فقد بدت له الصورة أبشع عندما خرج من إطارها ،خاصة أنه رأى كيف تعيش الشعوب الأخرى باستقرار وأمان فأنشغل بالتفكير بوطنه بهموم وطنه ومشكلات الناس فيه من جوع وحرمان دون أي ذنب ،فاتسع العراق في نفسه وأحاسيسه [٣٠] ونجده في قصيدة أنشودة المطر جمع بين الواجهتين (الخلفية والأمامية)مانحا القارئ مفاتيح نصه ببعض من الألفاظ التي تمثل إشارات تساعد قارئ السياب لقراءة ما خلف النصوص وفي أكثر من موضع ،ومما يمكن أن يتراءى للقارئ من خلال تصويره الشعري أنه مرتبط بأمه كثيرا وذكرها في شتى دواوينه وأيضا هو مرتبط ارتباطا وثيقا بالأرض حتى أصبحت هي العمود الفقري لعدة قصائد حيث يتكلم عن العراق وعن قريته جيكور فإذا تمعنا النظر في قصائده سنجده يربط بين الواقع والمتخيل أي الواجهة الامامية والواجهة الخلفية فهو في ابياته الشعرية لم يقل أمي صراحة وانما قال:

كأن طفلا بات يهذي قبل أن ينام

بأن أمه التي أفاق منذ عام فلم يجدها

ثم حين لج بالسؤال

قالوا له بعد غد تعود...لابد أن تعود

وإن تهامس الرفاق أنها هناك

غي جانب التل تنام نومة اللحود

تسف من ترابها وتشرب المطر ..

فالسياب هنا صحيح انه تكلم عن ام وطفل لكنه في الحقيقة يتكلم عن نفسه وعن ذاته في الأصل ومن ثم هو تصوير لما خلف النص تصوير عن سيرته من خلال استرجاعه لذكريات الطفولة عندما افاق وعندما كذبوا عليه فهو استذكر كل هذه الأحداث في الأبيات لكي يبث لنا أشجانه من خلال احساسه هو في حد ذاته بالفقد مثلما ان الشعب يفتقد إلى الغنى ويفتقد الشبع لما كان يمر به البلد من جوع وفقر في تلك الفترة وفي هذه الألفاظ واجهة أمامية تشير بوضوح إلى واقع مرير يمثله العراق الجريح ، فالسجل النصي هو الأساس الذي يساعد القارئ في تنظيم أوراقه وهو مرحلة أولى للتأويل ودخول في حوار مع النص تحقيقا لاستراتيجية إيزر في تحقيق القارئ الخبير الإيجابي لا السلبي ، وهذا يجسد المعجم اللفظي الذي وظفه السياب في قصيدته ومن صور ذلك قوله:

ما مر عام والعراق ليس فيه جوع

مطر..

مطر ..

مطر...[٣١]

برغم وجود المطر الا انه يوجد الجوع بسبب السلطات التي كانت تأكل حق الفقير ولا زالت فمأساته هو ربطها بمأساة الوطن الذي يعاني من شظف العيش [٣٢] وهنا نتساءل لماذا أختار كلمة مطر ولم يختر كلمة غيث ؟ ويبدو أن سبب ذلك يعود لقناعة السياب ودقته في اختياراته لألفاظ القصيدة بما يتناسب مع عنوان النص ، ثم علاقة ذلك كله مع الواجهة الخلفية التي كشفت لنا نسق مضمر يحتمل عذاب الشاعر ومعاناته من الحكومات من جهة وعذابه بالمرض والغربة والشوق والحنين من جهة أخرى ،"فهو أزاح مصطلح المطر عن معناه المعروف الذي يتمحور حول الإرواء والسقيا ،لكنه لم يأت بقرينة تظهر لنا المعنى الأصلي أي واجهة أمامية إلا ما أورده من أحوال بيئته والقهر السياسي والحرمان الاقتصادي وتقييد الحريات المدنية وتكميم الأفواه وسفك الماء لأنفه الأسباب فهو ينادي الثورة ثم الثورة ثم الثورة بتكراره لكلمة مطر ثلاث مرات وهو أسلوب التأكيد المعروف فكل التكرار هنا تأكيد شديد على أن الثورات المستمرة هي الحل الوحيد الذي سيساهم في التخلص من الجور والظلم" [٣٣] وهنا قد تشكلت لنا الواجهة الخلفية .وتجدر الإشارة الى أنه لم يضع كلمة المطر المكررة مرات عديدة بصورة أفقية اعتباطا او لشيء غير متعمد انما وضعها هكذا لأن المطر ينزل عموديا ورغبة وتمنيا منه في ان تتوالى البشارات مع نزول المطر بسرعة رغم كل ما يمر بيه المجتمع فهو حرص على الأمل رغم كل العقبات أوليست القصيدة اختتمت بعبارة تفاؤل (ويهطل المطر ....) فهنا تراءى لنا مقدار الكم الهائل من الأمل لبلاده بأن تتنفس الصعداء مما جثم على صدره طوال السنين.وقد لا يختلف الأمر كثيرا في قصيدة مرحى غيلان إذ نجد الشاعر صور لنا المطر لكن اختفى إيقاع التفعيلة متفاعلن ليأتي مكانه إيقاع آخر نشأ من تكرار لفظة (بابا) إحدى عشرة مرة في القصيدة لتجعل القارئ يتعلق ويتفاعل معها بفضل ما تحمله كلمة بابا من عاطفة[٣٤] تذكرنا بذلك الجبل العظيم الذي رغم كل مصاعب الحياة يبقى مستمرا في مسؤوليته العظيمة ,فمباشرة سيتساءل القارئ ما هذه القصيدة ولم ابتدأها بهذه الكلمة الجميلة وبهذا سيبدأ التفاعل بين النص والقارئ فنجد الواجهة الامامية في الأشياء الظاهرة مثل غيلان _عشتار _المسيح _بويب –جيكور _أسطورة سيزيف....هذه الكلمات التي لكل واحدة منها دلالات معينة غيلان الأبن وعشتار الأسطورة فقرنهما معا في القصيدة بقوله:

كأن أودية العراق

فتحت نوافذ من رؤاك على سهادي : كل واد

وهبته عشتار الأزاهر والثمار ..الخ[٣٥]

هذا يدل على تحقيق الحب والجمال من خلال ولادة غيلان لان عشتار تدل على الحب والحضارة والتراث وبعدها يذكر المسيح الذي هو رمز له دلالة للتجدد والانبعاث ،وهو واجهة خلفية للنص التي أحدثت التفاعل.

بابا ...كأن يد المسيح

فيها ,كأن جماجم الموتى تبرعم في الضريح

تموز عاد بكل سنبلة تعابث كل ريح(٣٦)

هذه الكلمات الظاهرة الواجهة الامامية في النص مثل بابا والمسيح وجماجم الموتى والضريح وتموز والسنبلة أسهمت في تشكيل الواجهة الخلفية التي من خلالها نصل الى عملية التفاعل ونكتشف صرخة الشاعر التي أراد ان يوصلها لنا من خلال تضمينه لمعان حزينة ومتشاءمة وصلنا اليها من القراءة للنص فتشكلت لنا الواجهة الخلفية التي تمثل مرجعيات الواقع فجماجم الموتى وإصرار تموز على المقاومة وتثبيته بالأرض هي صرخة الشاعر في هذا الواقع المعاش ،و نرجع الى صورة تفاؤل عندما يذكر بويب الذي هو رمز للتجدد والخصوبة والحياة والأمل يقول :

أنا في قرار بويب * أرقد في فراش من رماله

بويب الواجهة الامامية فالشاعر لم يرد بالنهر نفسه وانما من خلال التعمق في أغوار النص هو يقصد الحياة والتفاؤل فهو فرحا بقدوم غيلان من جهة وخائفا عليه من المستقبل من جهة أخرى بسبب الظروف التي كان يعيشها العراق في تلك الحقبة وهذه هي الواجهة الخلفية للنص، التبادل في الأدوار بين الواجهتين هما ما خلقا انسجاما للنص وساهما في إدامة زخم النص فنيا وخيالا بتوظيف مرجعيات واقعية ساندت القارئ في مهمة الكشف عن المعاني المخبئة والتأويلات الفنية.ثم يأتي الشاعر بأسطورة جميلة تتحف المتلقي وتجعله متلهفا للتعرف عليه وهي أسطورة سيزيف يقول:

بابا ..بابا..

يا سلم الأنغام ، أية رغبة هي في قرارك ؟

((سيزيف)) يرفعها فتسقط للحضيض مع انهيارك (٣٧)

التي شكلت لنا واجهة امامية فسيزيف بطل يوناني حكمت علية الآلهة بعقاب أبدي حمل صخرة الى قمة الجبل ثم دحرجتها وإعادة حملها فهو رمز للعذاب المتجدد وهذا هو بالضبط ما عاشه السياب ويعيشه فكأنه يشبه نفسه به وما يعيشه من ظروف جعلته يشعر بمدى كبير من الحزن المتكرر مع الأيام واجهة خلفية.ونلاحظ بصفتنا كقرآء لشعر السياب تعلقه بفضاء مكاني هو ٠(جيكور)(بويب)حيث اعتمد على الصورة الواقعية الثابت لهذه الأماكن وجسدها في مشهد جميل فيه مفارقة بين الواقع الواجهة الامامية والمتخيل الشعري الواجهة الخلفية وصورها في مشهد اكثر اسودادا على الرغم من وجود بعض الأشياء ذكرت جميلة لكنها تعكس لنا الواقع المأساوي الذي يعيشه السياب والناس آنذاك وكان ذلك واضحا للقارئ من خلال تصريحه بقول :

جيكور من شفتيك تولد ،من دماءك ،في دمائي

الموت يركض في شوارعها ويهتف :يا نيام

هبو فقد ولد الظلام

وأنا المسيح أنا السلام

والنار تصرخ يا ورود تفتحي ولد الربيع

وأنا الفرات ..

فيورق الغد في دمائي

فتحيل أعمدة المدينة

أشجار توت في الربيع ومن شوارعها الحزينة

تتفجر الأنهار اسمع من شوارعها الحزينة

إذ عمدت القاعدة الامامية التي توضحت لنا من خلال الابيات إلى استدراكنا كقرآء من أجل التفاعل الجمالي بيننا وبين النص فاتضحت لنا القاعدة الخلفية من خلال الأبيات داخل النص الشعري ، ثم يعمد السياب إلى الفات نظرنا من خلال القاعدة الصراعية بين الأمل واليأس ولابد للأمل أن يخرج من جدران اليأس والحزن ليغني نشيد الأمل ، ففي النص نداء مخفي للعودة الى التفاؤل والامل رغم وجود التعب والفقر والهلاك والدم والقتل والخراب يقول:

والنار تصرخ يا ورود تفتحي

ولد الربيع

وأنا الفرات ،ويا شموع

والشمس تعول في الدروب

بردانة أنا والسماء تنوء بالسحب الجليد.

فجمالية هذا النص تكمن في تفاؤل السياب وأمله بتحسن حال العراق وحال شعبه ,وهنا تذكرت قول جلال الدين الرومي في احدى اقتباساته (حيث يوجد الخراب هناك أمل بوجود الكنز)[٣٨] فالشاعر رغم كل العقبات والتجارب القاسية والغربة التي مر بها رجع الى التفاؤل فانكشفت لنا القاعدة الخلفية من خلال الابيات التي تشكل قاعدة امامية .وفي السياق نفسه وتحديدا في قصيدة ((النهر والموت)) فهنا من العنوان ستبدأ اثارة القارئ وتساؤلاته فالعنوان هو عتبة دخوله الى فضاءات النص والتفاعل معه فهو يعطيه مفتاحا يلج به عالم القصيدة [٣٩] ونجده يحمل لفظتي النهر الذي هو مصدر الماء والحياة، و الموت ؛ هو اسم يرعب الصغار ويدمع الكبار ويفرق العشاق ،وهو رمز الفناء والانتهاء [٤٠] فهاتين الكلمتين واجهة أمامية أثارت فضول القارئ لتتشكل بعدها الواجهة الخلفية من خلال دلالة الكلمات الأخرى في القصيدة يقول

بويب ...

بويب...

أجراس برج ضاع في قرارة البحر

الماء في الجرار ، والغروب في الشجر

وتنضح الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

"بويب ...بويب"[٤١]

فالكلمات (النهر ،الموت ،بويب ،أجراس ،الجرار ،البحر ،المطر ،البلور ،الأنين)كل واحدة منها دلالتها ظاهرة وواضحة وشكلت لنا نسقا ظاهرا يمثل الواجهة الأمامية؛ لكن هنا سيتساءل القارىء ما السبب في اختيار الشاعر لبويب؟ دون غيره ولم ربطه بالموت ؟ والجواب أن السياب يرى في بويب بمثابة العراق فهو يمثل موطنه واحلامه ومرتع طفولته لان العراق بلد فيه الأنهار والخيرات وكذا النهر هو سر الحياة فاختار الشاعر بويب من باب تسمية الكل باسم الجزء ثم ربطه بالموت ليبث لنا حالة الحزن والشوق لبلاده فاختزل العراق في بويب الوطن الذي فيه ذكرياته وهنا تشكلت لنا الواجهة الخلفية التي من خلالها توصلنا الى مقدار حنين الشاعر وشوقه لوطنه الذي قضى فيه طفولته وشبابه فكأن بويب صورة العراق التي تنقلنا إلى الحقيقة الخلفية المختفية عن الواقع الذي لم يفصح عنه الشاعر بشكل مباشر ،بل تركه للقارئ يتأمل ذلك وفقا لخبراته وقدراته الفكرية والفنية فهو يصور ذلك من خلال قصيدة تراجيدية اذ يقول :

وتنضح الجرار أجراسا من المطر

بلورها يذوب في أنين

حيث صورت لنا كلمات الواجهة الأمامية في البيت الشعري ما سيتكون لنا من واجهة خلفية فتبين ان الشاعر صور لنا الأمسيات الجيكورية أثناء عودة النساء من الشاطئ محملات معهن جرار الماء ومعه صوت وقوع الماء على اكتافهن ممتزجا مع أناتهن ودموعهن على التي تختلط مع ما يسقط من مياه من الجرار فهن يبكين لتذكرهن أحبابهن الموتى عندما اجتمعن عند النهر فانهال صوت أنينهن.[٤٢] هو يصور مآسي تلك القرية الفردوس المفقود الذي ينشده ليمثل معادلا موضوعيا لما يشعر به من غربة وحنين لقريته ،بدر شاكر السياب الذي تغن دائما طوال حياته بقريته "جيكور" التي حرمته الغربة منها وحنينه إلى أيام الطفولة والعودة إليها ومشاهدة بصمات طفولته أين تولت ،ريفها وطبيعتها ، كل هذا ولد صور فنية وجمالية مثل الغربة والعجز التي أثرت في نفسيته وجعلت مشاعر الحزن والقلق في قصائده البديعة [٤٣]

وبعدها يقول :

إليك يا بويب ،

يا نهري الحزين كالمطر

إن صورة السياب تثير لدى القارئ فضولا في التساؤل عن سبب تشبيه العراق بالنهر ؟ وهو تساؤل ينتقل بالقارئ الى الواجهة الخلفية لكلمة العراق فكثرة خيراته وتنوعها ووصفه بالحزن لتفشي الفقر والفاقة التي انتشرت لحد كبير فيه فلهذا وصفه بالحزين فلا تمتزج قطرات المطر

مع الرمل بانين في هذا البلد الحزين [٤٤] وجاء النداء مرتين محاولة منه في "إحداث التقاطع بين اللامتناهي والانتظار والشوق الإنسانيين وذلك عن طريق العودة وطقوسية النذور هكذا يكتسب الكوني الايقاعي الانساني [٤٥] وعليه فإننا من خلال الواجهة الأمامية و الواجهة الخلفية التي بيناها تبين لنا مقدار الدور الكبير لقارئ النص الأدبي ومدى الطريقة التي يجب أن يكون استيعابه قد وصل اليها ليتمكن من الخوض في أغوار النص فهو حر في تصوير المعنى ويرسم في مخيلته آفاقا وتوقعات عن كل قصيدة تختلف من متلقي الى آخر بحسب مرجعياتهم ،لأن الشاعر لا يستطيع أن يظهر لنا كل ذلك الزخم من الذكريات والأحداث في قصيدة ،وهنا سيبدأ دور المتلقي وتفاعله مع النصوص .وحري بنا التطرق إلى توظيف السياب للرموز في أشعاره خاصة الدينية والأسطورية منها حيث تعتبر من أهم خصائصه الشعرية ،ولم يكن هو أول شاعر عربي معاصر استخدم الرمز ولكنه جعل منها مرتكزا هاما في شعره وفاق الآخرين في القدرة على الاختيار وطريقة الاستخدام ،وكان توظيفه للرمز في شعره متنوعا حيث جمعه من بيئات وديانات مختلفة من الإسلامية والمسيحية والتأريخ العربي والإغريقي والبابلي وحتى من بلدان الشرق الأوسط .[٤٦]فالسياب كسائر الشعراء المعاصرين في استلهامه ملامح المسيح النصرانية إضافة إلى الملامح القرآنية "فمعظم ملامح السيد المسيح في الشعر المعاصر مستمدة من الموروث المسيحي وخصوصا "الصلب" و "الفداء" و "الحياة من خلال الموت " وثلاثتها ملامح مسيحية "[٤٧] فنجده في قصيدة المسيح بعد الصلب يصور المسيح بالمنقذ والمخلص والفادي نفسه لخلاص الأمة من تيهها وظلم سلاطينها ،يقول:

بعدما أنزلوني سمعت الرياح
في نواح طويل تسف النخيل؛
والخطى وهي تنأى . أذن فالجراح
والصليب الذي سمروني عليه طوال الأصيل
لم تمتني وأنصت كان العويل
يعبر السهل بيني وبين المدينة
مثل حبل يشد السفينة
وهي تهوي إلى القاع.كان النواح
مثل خيط من النور بين الصباح
والدجى ، في سماء الشتاء الحزينة
ثم تغفو ،على ما تحس ،المدينة

فالواجهة الأمامية تبين أن السياب في هذا النص يبين لنا تضحية المسيح الفادي على الصليب وهي تضحية وبطولة لا يقوى عليها الا العظماء ،ومن ناحية الواجهة الخلفية يلمح لنا عن معاناته الشديدة التي تشبه معاناة المسيح على الصليب ،و نجد أنه أكمل نموذج تمثل فيه السياب في شخصية المسيح في حياته وموته ،فهو ظل للسياب ذاته، السياب الذي عاش في بغداد وجيكور والمنتصر على أعداءه بالفقر والمحبة والموت ،حيث نلاحظ أنه يلتقي في عمق التجربة مع معاناة المسيح في صلبه التي قامت على معاندة الظلم والأنتصار عليه ،فالسياب هو الجرح ، هو الأنا وما تنطوي عليه من واقع الظلم والأسى والمعاناة ،فهو هنا تقنع بقناع المسيح متخذا معاناته تجربة له فهو يستهدي بهديه وإن كان يقصر عنه في الفداء والمعجزات [٤٨] ،فمن خلال الواجهة الخلفية انكشفت لنا فضاءات وأنساق الواجهة الأمامية التي كانت مخفية في أغوار النص لكن من خلال التفاعل بين النص والقارىء توضحت الدلالات .ولا يفوتنا أن ننوه مدى فائدة توظيف الرموز الدينية في الشعر إذ تعد كما يقول الناقد الكبير صلاح فضل من أنجح الوسائل لخاصة جوهرية في هذه النصوص تلتقي مع طبيعة الشعر نفسه وهي تدعو الذهن البشري لحفظه ومداومة تذكره[٤٩] وبطبيعة الحال نجد في قصائد أخرى يفتح لنا الشاعر خلالها آفاقا جديدة تكشف لنا تطلعات أخرى يوظفها في القصيدة ففي قصيدة في المغرب العربي يبين انتصاره للشعوب المغربية بل هو من خلال الواجهة الأمامية يظهر لنا أنه هو نفسه من هذه الشعوب يقول :

قرأت اسمي على صخرة
هنا في وحشة الصحراء
على آجرة حمراء

على قبر فكيف يحس إنسان يرى قبره؟

يراه وانه ليحار فيه:

أحي هو أم ميت؟ فما يكفيه

أن يلقى له ظلا على الرمل،

كمئذنة معفرة

كمقبرة

كمجد زال

كمئذنة تردد فوقها اسم الله

وخط اسم له فيها،

وكان محمد نقشا على آجرة خضراء

يزهو في أعاليها ...

فأمسى تأكل الغبراء

والنيران من معناه،

ويركله الغزاة بلا حذاء ،

بلا قدم

وتنزف منه دون دم

جراح دونما ألم ،فقد مات

ومتنا فيه من موتى ومن أحياء

فنحن جميعنا أموات

عندما يقرأ المتلقي هذ النص سيتراءى له العمق الكبير للقومية ومقدار التوحد مع شعوب المغرب العربي، وهو بإحساسه القومي الجميل يشعر القارئ ويوهمه أنه جزء لا يتجزأ من هذا الوطن وهنا واجهة امامية نلحظ أنه يقرأ اسمه على صخرة وعلى آجرة في وحشة الصحراء بل هو يرى اسمه مكتوبا على قبره،ثم يذكر المئذنة التي هي رمز للعقيدة فهي أقوى صلة تمزج بين الأنسان والأنسان ،ثم في باقي كلمات النص توضحت لنا الواجهة الأمامية (الاسم على الصخرة ،الصحراء ووحشتها،آجرة حمراء ،قبر،مئذنة ،مقبرة ،مجد زائل ،اسم الله ،محمد صلى الله عليه وسلم، الغبراء ،النيران ،الغزاة، الدم ،الموت) من خلال هذه الكلمات سنصل للواجهة الخلفية والتي جميعها عبرت عن حرب ودمار واستهانة بالدين والعقيدة من قبل الغزاة ،فمن خلال هذا الحس القومي العميق توضحت لنا الواجهة الخلفية للنص والتي بينت لنا مقار هذا الحس في شعر السياب الذي ربما لم يكن يلتفت اليه في تلك الحقبة حيث جعله هنا قاعدة لشعره فهو عندما يتحدث عن حال المغرب العربي في النص كأنه يصف حال العراق أو احدى مدنه او يصف قريته جيكور فمن البديهي أن تلك الحوادث التي حدثت في المغرب قد حدثت في العراق والبلدان الأخرى فالمأساة واحدة والحروب موجودة فهو من خلال ذلك كان يشق مساره الشعري الى مسالك أبعد تفضي الى القومية وإلى البعد الانساني الشامل الذي تميز به ومن البديهي أيضا ان يكون البعد القومي هدفا استراتيجيا لنشر شعره في الآفاق الواسعة وهنا يجب أن لا ننكر الحس القومي وشعوره بالانتماء قبل كل شيء .[٥٠] واستخلاصا لما سبق نلاحظ أن هاتين القاعدتين الأمامية والخلفية ساهمتا كثيرا في عملية التواصل والتفاعل بين النص والقارئ ،إذ هما في علاقة شراكة دائمة ويمثلان وجهان لعملة واحدة إذ تمثل القاعدة الخلفية المرجعية الواقعية لسجل النص عند القارئ ،أما القاعدة الأمامية فهي مثلت وشكلت لنا النص الجديد ومن خلالها سيتم استنطاق القارئ للكشف عن المضمر المخفي بداخلها ،فبتقابل القارئ مع النص تتداخل الخبرات وتتقاطع فلا يستطيع أن يفهم دلالة النص الجديدة إلا بالجمع بين الواقع والمتخيل مما جعل هاتين القاعدتين في تواصل دائم يمتع القارئ أثناء اكتشافه كما لاحظنا .[٥١] وينتبه القارئ لما يجده في قصيدة (في المغرب العربي) إذ استخدم السياب شخصية النبي (صلى الله عليه وسلم) ومن خلالها سنصل للواجهتين حيث صور فيها دلالات مختلفة فهي رمز الانسان العربي وصور فيها الصراع بين الإسلام وأعداءه الصليبين والعلاقة بين الانسان والحضارة من اجل نهضة البلاد يقول :

كمئذنة تردد فوقها اسم الله

وخط له اسم فيها

وكان محمد نقشا على آجرة خضراء

يزهو في أعاليها

فأمسى تأكل الغبراء

والنيران من معناه

يركله الغزاة بلا حذاء

بلا قدم

وتنزف منه دون دم

جراح دونما ألم

فقد مات

ومتنا فيه موتى ومن احياء

فنحن جميعنا أموات

أنا ومحمد والله

وهذا قبرنا أنقاض مئذنة معفرة

عليها يكتب اسم محمد والله

وهب محمد وإلهه العربي والانصار

إن الهنا فينا(٥٢)

فتشكلت لنا في الابيات واجهة أمامية كلمات ذكرت في القصيدة مثل شخصية النبي الاكرم (صلى الله عليه وسلم) والمئذنة والنقش المكتوب عليها و....الخ وواجهة خلفية بينت لنا شخصية السياب الملتزمة التي اوصلتنا الى مدى إنسانيته والتزامه ينيا عبر فيها بوضوح مدى انتصار الانسان العربي ممثلا بشخصية النبي الكريم على الأعداء الصليبين ولو بعد حين ،وهذا ما أكده الكاتب علي عشري زايد في قوله (يصور الشاعر بدر شاكر السياب من خلال شخصية الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)انطفاء مجد الانسان العربي ويقينه من ازدهار ذلك المجد من جديد حيث يصور ظل الانسان العربي المعاصر بصورة مئذنة وبهذا يمكن القول بأن الإسلام محطة رئيسية في فكر الشاعر فالشخصية التي وظفها هي شخصية عظيمة التي عبرت عن واجهة امامية من خلالها تشكلت الواجهة الخلفية التي وضحت لنا دلالات تكمن في أعماق نص الشاعر دلت على التزامه بالقيم والمعالم الإسلامية التي ظهرت لنا في الابيات في موضع آ خر من الديوان نجد في قصيدة ا(لأسلحة والأطفال) نرى الكثير من المعاني الإنسانية التي ذكرها السياب في القصيدة فمن خلال عنوانها نجد التقابل المتضاد بين كلمتي الأسلحة والأطفال أي بمعنى الحرب والسلم وبين الفقراء الذين يبيعون الحديد العتيق وبين الأغنياء والرأسماليين وبين العمال الكادحين الذين يتعرضوا للتعب والعذاب وبين المستغلين المتربصين بشقاء العمال والفلاحين وفي نهاية الابيات شاعرنا يؤكد انتصار الخير وهي رسالة تضمنتها الواجهة الأمامية وترجمة صدقها الأحداث أو الواقع \ الواجهة الخلفية ، فلا بد للظلم أن ينتهي وللشعوب أن تتحرر من قيود الاستعمار ويتفاءل بذلك من خلال لفظة (العصافير) التي تمثل تصورا فكريا يساعد القارئ لتجاوز محنة الاتصال مع النص وكيف الولوج الى الداخل يقول السياب:

عصافير؟!

بل صبية تمرح

وأعمارها في يد الطاغية

وألحانها الحلوة الصافية

تغلغل فيها نداء بعيد :

حديد عت...يق

رصا...ص

حدي....د

وكالظل من باسق في الفضاء

اذا احتاج كالمدية الماضية

عصافير تشدو على الرابية

ترامى الى الصبية الأبرياء (٥٣)

من خلال هذه الابيات الجميلة تشكلت واجهة أمامية هي الأطفال والأسلحة الرصاص والحديد الظل والعصافير والابرياء والصبية..الخ ، وهي واجهة كما أشرنا أمامية تساعدنا للوصول إلى الواجهة الخلفية البراءة والمحبة والخير الذي يوجد الأطفال ومقابلها الأسلحة التي ترمز الى التدمير والدمار والشر والجريمة لكن بالنهاية سينتصر الخير والسلام الذي هو الأطفال والامل والتفاؤل الذي رنا اليه الشاعر رغم كل الفواجع والأزمات التي يمر بها الوطن، واستعان السياب بالوظيفة الأمامية البصرية من خلال هذه النقاط بين الحروف إضافة الى وجود بعض الكلمات المكتوبة باللون السميك(حديد، عتيق،..) وهذا كله عائد وتلك الكلمات المقطعة والنقاط والفراغ والخط العريض تلفت انتباهنا وتعونا للتأمل والتركيز فالشاعر اتخذ من هذه الوسيلة الفنية بغية الفات نظرنا إنه يتوخى هدفا انسانيا وهو الكف عن قتل البراءة والطفولة(٥٤) وفي قصيدة (النهر والموت)يوضح لنا الشاعر انه يجعل في الموت الفرصة الوحيدة لكي يصف لنا موقفه وشعوره النضالي الحقيقي من خلال الواجهة الامامية والخلفية التي عن طريقها عرفنا الفكرة المخبوءة داخل النص التي اراد السياب ايصالها الينا وهنا سيأتي الينا تساؤل هل كان السياب من محبي الموت وعشاقه الراغبين ؟ ام انه بين بالمحب والمكره يقول بعض النقاد منهم ماجد السامرائي "(ان في شعر السياب سمتان سمة الصراع مع الموت صراعا عنيفا يدفعه الى الرغبة الجامحة في استمرار حياته والسمة الثانية هي الرغبة في التخلص من عبء الآلام عن طريق الموت الذي اعتبره السياب في كثير من حالات يأسه سبيلا وحيدة للخلاص" (٥٥)**يقول** :

أود لو عدوت أعضد المكافحين

أشد قبضتي ثم أصفع القدر

أود لو غرقت في دمي الى القرار

لأحمل العبء مع البشر

وأبعث الحياة إن موتي انتصار(٥٦)

وتتشكل الواجهة الأمامية من صورة المؤازرة التي تخلقها كلمة (اعضد المكافحين) وهو مناضل مكافح مع احرار وطنه ويفي نفسه لأجله وهنا تشكلت الواجهة الخلفية التي تصل بالقارئ عن علاقات اتفاق يعقدها القارئ مع النص ليصل الى مقصدية النص ،وهذا ما يبدوا دفع الباحثين للتوصل إلى علاقات ضدية تجمع لفظة وبديلتها فالعلاقة بين "الظلام وبديله اللغوي "اعضد المكافحين " ضدية اساسا ، لان الظلام حالة دورية ولا بد للانسان في وقوعها ولا قدرة له على دفعها"وفي موضع اخر نجد هاتين الواجهتين ظاهرتان في شعره مثلا في قصيدة (العودة الى جيكور) يقول:

جيكور، جيكور أين الخبز والماء

الليل وافى وقد نام الأدلاء ؟

والركب سهران من جوع ومن عطش

والريح صر وكل الأفق أصداء

بيداء ما في مداها ما يبين به

درب لنا، وسماء الليل عمياء

جيكور مدي لنا بابا فندخله

أو سامرينا بنجم فيه أضواءَ!

نرى في الابيات مدى حزن السياب لتغيير جيكور مكانه الاحب وفقدانها براءتها فكانت عودته لها مثل عودة الابن الضال ولكن الى بيت أصابه الخراب "

فالسياب وجيكور قضى عليهما الزمن واصبح كل منهما مدمرا فهو قتلته ولوثته المدينة كما أحاطت بجيكور دروب المدينة ولوثتها وبات مستحيلا اعادتها الى الطهارة البكر فالواجهة الامامية ظهرت لنا هي جيكور وتساؤله عن الخبز والماء والليل والريح والواجهة الخلفية انه لم يقل صراحة ان جيكور تدمرت وضاعت وحل بها الفقر والحزن والخراب وجيكور هي العراق الذي أضحى ممزق بسبب الظلم والاستعمار فتوضحت بذكرها لنا من خلال الواجهة الامامية مقصد الشاعر من الابيات وهو ما اسلفنا ذكره و في قصيدة (مدينة السندباد) فنجد ان العنوان شكل مرتكز يحمل سمة جديدة حيث انه من العنوانات التي تكسر أفق المتلقي فمعنى العنوان يقود القارئ الى تصور أجواء سحرية عجائبية ممتلئة بالصور الجمالية المدهشة التي تكشف المجهول في الحياة مثل السندباد حيث اذا وقفنا على العنوان وحده هكذا يكون بينما بأبيات القصيدة يعني ابحار في واقع الحياة في العراق الذي تسلط عليه حكام احرقوا ما فيه واصبح الناس يتمنوا الموت بسبب ما يلاقوه من ظلم وجور يقول:

نود لو ننام من جديد

نود لو نموت من جديد

فنومنا براعم انتباه

وموتنا يخبئ الحياة(٥٧)

فهنا نلاحظ مدى اختلاف الابيات عن العنوان وتشكلت لنا واجهة أمامية من مدينة السندباد والموت والنوم والحياة والبراعم وفي باقي الابيات رموز ابتكارية اسطورية جسد فيها الشاعر واقع الحياة في العراق آنذاك فالعنوان هنا واجهز امامية مفارقة كثيرا لما يوجد داخل القصيدة فهو عندما ذكر السندباد لم يقصد صراحة ان بلاده مدينة السندباد انما بسبب الغموض والمغامرة والحياة المجهول مستقبلها التي يعيشها العراقيون آنذاك كما السندباد عندما يبحر ولا يعلم ماهي المغامرات والظروف التي سيصادفها أي يقص لا ضمان لمستقبل العراق بسبب الفترة المظلمة في ذلك الوقت وهذه شكلت واجهة خلفية وفي المقطع الرابع من القصيدة نفسها قد لا تغادر ثنائية الحلم المنشود والواقع المؤلم اي جدلية اليوتوبيا والدستوبيا بين الواقع المؤلم الذي عكسته الفاظ القصيدة (الواجهة الأمامية) ولذا يلمس القارئ ومنذ اللحظة الأولى كلمة (الربيع) واجهة أمامية تقود إلى كل ما هو جميل وأمل لغد مشرق بيد أن القارئ يعود أدراجه وهو يتربص بعينه قراءة بقية الألفاظ والتساؤلات التي تحمل عشرات علامات الاستفهام يتركها المبدع السياب للقارئ يكشف كل حسب خبرته وسجله الثقافي والأدبي يقول السياب.

يا أيها الربيع

يا أيها الربيع ما الذي دهاك؟

جئت بلا مطر

جئت بلا زهر

جئت بلا ثمر

وكان منتهاك مثل مبتداك

يلفه النجيع ...

وأقبل الصيف علينا أسود الغيوم

نهاره هموم

وليله نسهر فيه نحسب الغيوم

حتى إذا السنابل

نضجن للحصاد

وغنت المناجل

وغطت البيادر الوهاد

خيل للجياع أن ربة الزهر

عشتار قد أعادت الأسير للبشر

وكللت جبينه الغضير بالثمر ..:(٥٨)

وضح لنا السياب في هذه الابيات الجميلة ستارا وأفقا مخفيا لا ينكشف الا بالتحليل العميق والخوض في مكنونات النص فالواجهة الامامية ظهرت لنا من خلال كلمات معانيها سطحية الربيع المطر السنابل الثمر ووو...الخ والربيع لم يأت بالمطر والخصب والصيف أقبل بغيوم سوداء وما ان امتلأت السنابل حتى انقلب الخصب الى جدب ،فهذه الألفاظ تمثل مفاتيح يعود بها الى القارئ فهي مرجعيات السجل النصي التي ينطلق منها لفهم النص .ويلاحظ القارئ وجود الأمل الذي طالما يحاول السياب أن يربطه بأمر يوجد صعوبة في تحقيقه وهذا ما يجعل لفظ السياب كثير التأويل لان شعره منفتح وغير محدد الصورة فإذا ما وصل الزرع لمرحلة القطاف جاء الظلمة والمستعمرون فنهبوا الخيرات وتركو اهله جياعا ف(عشتار) كانت تجسيدا لقوة الاخصاب الكونية وروح النبات وكان غيابها وعودتها يمثلان دورة الحياة النباتية في الطبيعة اذ بغيابها عن عالم الحياة تجف الأرض ويتوقف النسل وتتعطل كل مظاهر الحياة, هنا جاءت عشتار كعامل منسق للواجهة الأمامية وكلاعب اساسي في السجل النصي الذي يوصل القارئ للكثير من التأويلات والمعاني. فالقصيدة تغني حياة السياب وما يشعر به في كيانه وما يشعر به في كيانه من تعطش وشوق لحياة يجد فيها الفرح والسعادة والهناء كما الربيع الحقيقي فالواجهة الامامية هنا كلمات اخفت لنا معنى عميق وهو ما تم معرفته في الواجهة الخلفية التي عن طريقها تبين لنا ما يلاقيه شاعرنا من حزن وبؤس وحسرة على وطنه أولا وعلى نفسه ثانيا وهذا ما يسمى بكسر أفق التوقع ، وهكذا يمكن ان نسجل الدور المهم للواجهة الأمامية في اشعال مصابيح الفهم في الرجوع الى المرجعيات او السجل النصي الذي يمثل العقد والاتفاق بين القارئ والمبدع .

الخاتمة:

بعد الخوض في مكامن ما يخفيه السياب من سجل نصي اودعه في نصوصه وبعد قراءة معمقة للنصوص توزعت بين قراءة امامية وقراءة خلفية لهذه النصوص, وبعد الاطلاع على مفهوم السجل النصي توصلت الى بعض النتائج منها:

١- ان عملية انتقاء عناصر السجل النصي لها علاقة معينة بين الواجهة الأمامية والواجهة الخلفية .

٢- ان الواجهة الأمامية هي الأشياء الظاهرة الملفوظة في النص ويصل إليها القارئ دون جهد وتكلف , أما الواجهة الخلفية فهي متعلقة بالأنساق المضمرة.

٣- ان قصيدة (غريب على الخليج) فيها مسحة تشاؤمية سوداوية لما تحمله الفاظ القصيدة.

٤- لقد اختار الشاعر إيقاع بحر الكامل في كثير من قصائده لينسجم وحالته النفسي ويستوعب الكلمات الكثيرة.

٥- استطاع الشاعر ان يوظف الرمز في شعره حيث جمعه من بيئات وديانات مختلفة من الإسلامية والمسيحية والتأريخ العربي والإغريقي والبابلي وحتى من بلدان الشرق الأوسط.

الهوامش:

[١]) علي ملاحي ,مفاتيح تلقي النص ,مجلة اللغة والأدب ,١٤٤,ديسمبر ١٩٩٩.جامعة الجزائر

[٢]) ينظر :ناظم عودة الأصول المعرفية ،ص١٦٠

[٣]) إبراهيم محمود خليل :النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ,دار المسيرة للنشر والتوزيع , عمان , الأردن , ط١ ,٢٠٠٣,ص١٢٩.

[٤]) ينظر :البعد التطهيري الاتصالي في شعر محمود درويش "لا تعتذر عما فعلت "أنموذجا ,رسالة ماجستير ,الطالب عبد الله يوسف ,إشراف د.عبد المجيد دقياني ,جامعة محمد خضير بسكرة ,قسم الآداب واللغات ,ص٩٠

[٥]) ناظم عودة :الأصول المعرفية لنظرية التلقي, دار الشروق , عمان , الأردن , ١٩٩٧, ط١, ص ١٥٤

[٦]) المرجع نفسه ١٥٥

[٧]) ينظر البعد التطهيري الاتصالي في شعر محمود درويش ديوان لا تعتذر عما فعلت انموذجا ,اعداد الطالب عبد الله يوسف واشراف الدكتور عبد المجيد دقياني ,جامعة محمد خضير بسكرة ,ص ١٠٠

[٨]) ينظر :كتاب من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة ,عبد الكريم شرفي ,ص ٢٠٢

[٩]) آيزر فعل القراءة ,ص١٧٦

[١٠]) المرجع نفسه ص١٧٧

[١١]) عبد العزيز طليمات ,الوقع الجمالي وآليات إنتاج المعنى وبناء الذات قراءة في أطروحات إيزر ،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية, مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ١٩٩٣، ص١٥٥

وقع عند وولف غانغ آيزر,ص ٦٢

[١٢]) ايزر فعل القراءة ,ص١٠٣

[١٣]) ينظر: غريب على الخليج قراءة نفسية لعبة النظر إلى الداخل والخارج ,د.علاء محمد فرحان شدوح ,ص ٢٣

[١٤]) نوارة ولد أحمد :شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس ,دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ,الجزائر ,(د.ط),٢٠٠٨,ص,٤٨

[١٥])سورة الحاقة آية ٦.

[١٦]) ابن منظور :لسان العرب ط١.دار الكتب العلمية ,بيروت ,٢٠٠٣,ص٥٣٧

الديوان ٢٤٤

الديوان ٢٤٤

[١٩]) ينظر :غريب على الخليج قراءة نفسية د.علاء محمد فرحان شدوح ص ٢٥

الديوان ٢٤٦

[٢١]) شرح قصيدة السياب غريب على الخليج موقع حانة المثقفين

الديوان ٢٢٤٧

الديوان ٢٤٧

[٢٤]) ينظر محمود عبد الرحمن عبد السلام فلسفة الموت والميلاد دراسة في شعر السياب المجتمع الثقافي أبو ظبي ٢٠٠٣,ص ٣١٣

عبد الكريم شرفي :من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة ٢٠٣

[٢٦]) ينظر :الكيلاني اليمان :بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية لشعره ودار وائل للنشر ألاردن ٢٠٠٨ وص ١٥٥

الديوان ٢٤٧

الديوان ٢٤٩

[٢٩]) ينظر:الخير هاني :بدر شاكر السياب ثورة الشعر ومرارة الموت ,ط١,دار رسلان سوريا ٢٠٠٦,ص١٢

[٣٠]) ينظر :مجلة الباحث عدد ١٧ ،قراءة جديدة في أنشودة المطر للسياب ،ص ٩٤،احمد محمد مشرف ،جامعة آل البيت ،الأردن .

الديوان ٣٨٥

[٣٢]) ينظر إحسان عباس ، الشعر العربي المعاصر ١٩٨

[٣٣]) ينظر : مجلة الباحث ،عدد ١٧ ، قراءة جديدة في أنشودة المطر للسياب ،ص ٩٦،حمد محمد مشرف ،جامعة آل البيت ،الأردن .

[٣٤]) ينظر :علي جعفر العلاق ,في حداثة النص الشعري ,دراسة نقدية ,دار الشروق للنشر والتوزيع ,٢٠٠٣,ص١٥٦.

الديوان ٢٥٠

المصدر نفسه *نهر في قرية الشاعر جيكور

الديوان ٢٥١

[٣٨]) قواعد العشق الأربعون رواية عن جلال الدين الرومي ،إليف شافاق ،ترجمة خالد الجبيلي ،ص ٩٣،دار طوى للثقافة والنشر ،٢٠١٢،

[٣٩]) مجلة الأقلام سنة ٢٠٠٩ ،ص ٢٠٢

[٤٠]) ينظر :مجلة النور ،منتظر السوادي ،قراءة قصيدة النهر والموت لبدر شاكر السياب ،٢٠١١،

الديوان ٣٦٤

[٤٢]) بدر شاكر السياب شاعر عصر التجديد الشعري ،ماجد صالح السامرائي ،ص ٢٧،ط١ ،بيروت ك

ينظر :بن كرامة عائشة ، ظاهرة الحزن في شعر بدر شاكر السياب،ص١مجلة تعليمية مجلد٣، عدد٧، جويلية ٢٠١٥

[٤٤]) ينظر مجلة النور ،مصدر سابق

[٤٥] قصيدة النهر والموت لبدر شاكر السياب دراسة نصية، فاطمة عياش، أمينة عشيط،المركز الجامعي بالبويرة_الجزائر ٢٠٠٩

[٤٦]) إحسان عباس ، بدر شاكر السياب ،دراسة في حياته وشعره ،ص٢٢٨،بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات وانشر،ط٦،١٩٩٢

[٤٧]) علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية ،ص ٨٢،القاهرة دار الفكر العربي ،١٩٩٧م.

[٤٨]) ينظر :إليا الحاوي :بدر شاكر السياب ،ج٤،دار الكتاب اللبناني ،بيروت،(د.ط)،(د.ت).

[٤٩]) صلاح فضل ،إنتاج الدلالة ،ص ٥٩،ط١،مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ،القاهرة .

[٥٠]) ينظر :جمالية التلقي في شعر السياب ،سعدون محمد ،جامعة الحاج لخضر بتانة،كلية الآداب واللغات ،٢٠١٥،ص ٣٩٣

[٥١]) ينظر :استراتيجية التلقي في رواية وصية المعتوه (الموتى ضد الأحياء)لأسماعيل يبرير،رسالة ماستير اعداد الطالبتين :أميرة ربعي ،آمال خوالدي،جامعة العربي بن مهيدي _أم البواقي ،٢٠١٩،ص ٧٩،٨٠.

الديوان ٣١١_٣١٢

الديوان ٤٥٦

٥٢) ابتسام قعيد، خولة بوعافيه، الالتزام في شعر السياب:٧١، ماجستير ،كلية الآداب ،قسم اللغة العربية ٢٠١٨

قصيدة النهر والموت ، مصدر سابق٢١.

المصادر والمراجع

١– ابتسام قعيد، خولة بوعافيه، الالتزام في شعر السياب:٧١، ماجستير ،كلية الآداب ،قسم اللغة العربية ٢٠١٨

٢– إبراهيم محمود خليل :النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ,دار المسيرة للنشر والتوزيع , عمان , الأردن , ط١ ,٢٠٠٣,.

٣– ابن منظور :لسان العرب ط١.دار الكتب العلمية ,بيروت ,٢٠٠٣.

٤– إحسان عباس ، الشعر العربي المعاصر .

٥– إحسان عباس ، بدر شاكر السياب ،دراسة في حياته وشعره ، ،بيروت ،المؤسسة العربية للدراسات وانشر،ط٦،١٩٩٢

٦– احمد محمد مشرف ،جامعة آل البيت ،الأردن .

٧– استراتيجية التلقي في رواية وصية المعتوه (الموتى ضد الأحياء)لأسماعيل يبرير،رسالة ماستير اعداد الطالبتين :أميرة ربعي ،آمال خوالدي،جامعة العربي بن مهيدي _أم البواقي ،٢٠١٩.

٨– إليا الحاوي :بدر شاكر السياب ،ج٤،دار الكتاب اللبناني ،بيروت،(د.ط)،(د.ت).

٩– ايزر فعل القراءة .

١٠–بدر شاكر السياب شاعر عصر التجديد الشعري ،ماجد صالح السامرائي ،ص ٢٧،ط١ ،بيروت ك

١١–البعد التطهيري الاتصالي في شعر محمود درويش ديوان لا تعتذر عما فعلت انموذجا ,اعداد الطالب عبد الله يوسف واشراف الدكتور عبد المجيد دقياني ,جامعة محمد خضير بسكرة .

١٢–بن كرامة عائشة ، ظاهرة الحزن في شعر بدر شاكر السياب،مجلة تعليمية مجلد٣، عدد٧، جويلية ٢٠١٥

١٣–جمالية التلقي في شعر السياب ،سعدون محمد ،جامعة الحاج لخضر بتانة،كلية الآداب واللغات ،٢٠١٥.

١٤–الخير هاني :بدر شاكر السياب ثورة الشعر ومرارة الموت ,ط١,دار رسلان سوريا ٢٠٠٦.

١٥–الديوان .

١٦–شرح قصيدة السياب غريب على الخليج موقع حانة المثقفين

١٧–صلاح فضل ،إنتاج الدلالة ،ص ٥٩،ط١،مؤسسة مختار للنشر والتوزيع ،القاهرة .

١٨–عبد العزيز طليمات ,الوقع الجمالي وآليات إنتاج المعنى وبناء الذات قراءة في أطروحات إيزر ،منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية, مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، ١٩٩٣.

١٩–عبد الكريم شرفي :من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة .

٢٠–علي جعفر العلاق ،في حداثة النص الشعري ،دراسة نقدية ،دار الفروق للنشر والتوزيع ,٣

٢١-علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية ،القاهرة دار الفكر العربي ،١٩٩٧م.

٢٢-علي ملاحي ,مفاتيح تلقي النص ,مجلة اللغة والأدب ,١٤٤,ديسمبر ١٩٩٩.جامعة الجزائر

٢٣-غريب على الخليج قراءة نفسية د.علاء محمد فرحان شدوح .

٢٤-قصيدة النهر والموت لبدر شاكر السياب دراسة نصية، فاطمة عياش، أمينة عشيط،المركز الجامعي بالبويرة_الجزائر ٢٠٠٩

٢٥-قواعد العشق الأربعون رواية عن جلال الدين الرومي ،إليف شافاق ،ترجمة خالد الجبيلي،دار طوى للثقافة والنشر ،٢٠١٢،

٢٦-الكيلاني اليمان :بدر شاكر السياب دراسة أسلوبية لشعره ودار وائل للنشر ألاردن ٢٠٠٨.

٢٧-مجلة الأقلام سنة ٢٠٠٩.

٢٨-مجلة الباحث ،عدد ١٧ ، قراءة جديدة في أنشودة المطر للسياب ،ص ٩٦،حمد محمد مشرف ،جامعة آل البيت ،الأردن .

٢٩-مجلة الباحث عدد ١٧ ،قراءة جديدة في أنشودة المطر للسياب .

٣٠-مجلة النور ،منتظر السوادي ،قراءة قصيدة النهر والموت لبدر شاكر السياب ،٢٠١١،

٣١-محمود عبد الرحمن عبد السلام فلسفة الموت والميلاد دراسة في شعر السياب المجتمع الثقافي أبو ظبي ٢٠٠٣.

٣٢-ناظم عودة :الأصول المعرفية لنظرية التلقي, دار الشروق , عمان , الأردن , ١٩٩٧, ط١, .

٣٣-نوارة ولد أحمد :شعرية القصيدة الثورية في اللهب المقدس ,دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع ,الجزائر ,(د.ط),٢٠٠٨.

٣٤-البعد التطهيري الاتصالي في شعر محمود درويش "لا تعتذر عما فعلت "أنموذجا ,رسالة ماجستير ,الطالب عبد الله يوسف ,إشراف د.عبد المجيد دقياني ,جامعة محمد خضير بسكرة ,قسم الآداب واللغات .

٣٥-كتاب من فلسفات التأويل الى نظريات القراءة ,عبد الكريم شرفي .

٣٦-ناظم عودة الأصول المعرفية .

٣٧-غريب على الخليج قراءة نفسية لعبة النظر إلى الداخل والخارج ,د.علاء محمد فرحان شدوح .